هيئة الأمم تترنح وتتداعى

للأستاذ نقولا الحداد

مات مشروع التقسيم (تقسيم فلسطين) ومات معه هيئة الأمم، ثم مات وليدها « مجلس الأمن » . فإن تكن الأم وابنها لم يموتا بعد فإنهما في حالة النزع . ولن يسير في جنازتها سوى بني إسرائيل الذين كانوا ينوون أن يجعلوهما مطيتين للوصول إلى عرش السيادة على العالم ولكن العناية الإلهية لا تشاء أن يكون سطح الكرة الأرضية كله أرض الميعاد ، ولا أن يكون أرض ميعاد على مدى الزمان . إن هؤلاء الناس قد خدعهم غرورهم وغرر بهم وعد موسى أولاً ثم وعد بلفور ثانياً . فشوا في طريق وعر ، فإذا هم يقعون في واد عميق تحطمت فيه آمالهم كلها .

ظننا أن الحرب الأخيرة كانت عبرة لساسة الأمم يتعلمون منها أن الجنس البشري لا يعمر على الأرض إلا على أساس السلام ، وأن السلام لا تقوم له قائمة إلا على أساس العدل ، وأن المرشد إلى العدل هو الضمير الصالح ؛ كذا كنا نظن ، فإذا بنا نرى حمامة السلام على الأرض مذبوحة تتخبط بدمها .

وكنا نظن أيضاً أن هؤلاء الساسة أدركوا في نور الحكمة السياسية أن الناس وهم أمم متفرقة يتعذر أن تتفق مصالحهم وتهمد غلواء مطامعهم في هذا العصر الذي تهدمت فيه الحدود بين الممالك ، وأصبحت الأمم متشابكة في المعاملات رغم أنوفها ، فيصعب أن يتفق ساستها على الاتحاد الاجتماعي ، واصطنعوا للجنس البشري كله نظاماً عاماً يربط بعضهم ببعض ويتفادون به الاحتكاك المثير لحروب عالية . فإذا بنا نراهم يزيدون شقة الخلافات بينهم اتساعاً بحيث يستحيل الوئام والسلام .

ثم رأينا أنهم أنشأوا المنشأة العظمى — هيئة الأمم — ثم المنشأة الصغرى — مجلس الأمن — التابعة لها ، فاستبشرنا باهتداء الوجدان العالمي إلى أن السبيل الوحيد إلى اتحاد الأمم وتفادي خصوماتها هو إنشاء دولة عالية كبرى تجمع جميع الدول وتقيم لها نظاماً عادلاً عاماً ينصفها بعضها من بعض ويوزع أسباب المعايش لها جميعاً بالتساوي المتناسب . وأملنا أن العالم سيعيش في ظل هذا النظام الدولي بسلام متمتعاً بما أسبغ الله عليه من نعم الأرض .

هذه كانت أمنية جميع الناس المفكرين في كل دولة على الكرة الأرضية .

ولكن والأسفاء ما لبثنا أن رأينا أن « ريمة عادت إلى عادتها القديمة » — عاد التنازع الدولي أشد فجوراً منه قبل الحرب . رأينا أن هيئة الأمم ليست برلماناً دولياً كما كنا نظن ، ولا مجلس الأمن وزارة دولية كما اعتقدنا ، بل رأينا أن هذه الهيئة ليست إلا ساحة لاقتسام الغنائم ، وأن اجتماعات وفودها ليست إلا مؤامرات فظيعة لتناهب هذه الغنائم بأشكال مختلفة ، كل دولة على قدر مالها من حول وطول ، وإذا بالقوي يمعن بالنهب والسلب والضعيف المنهوب يصرخ متألماً من تمزق لحمه عن عظمه .

يعني أن هذا النظام الدولي الجديد لم يكن إلا عجماً شيطانياً جهنمياً ينذر العالم بثورة عالية قادمة مآلها هلاك الجنس البشري أو انقراض المدنية على الأقل .

الظالمين ، والرجل الذي يأبى أن يصيب مخطئاً وأن يسلم من العصاب كما أصيب غيره من المسلمين .

ولو لم يكن حب العدل مصدراً من مصادر تلك الشجاعة لكفاه أن يهاجر ، وأن يدخر شجاعته لمن يلقاه ، حين يلقاه .

ولكنه تحدى المشركين ؛ لأنه كان من قبل يتحدى المسلمين ، وكان هذا التحدي هو المقصود . ولم تكن شجاعته هي المقصودة لأن شجاعته تثبت له بلقاء من يتعقبونه ، حينما تعقبوه .

أما العدل فهو الذي يوحي إليه ألا يكون الظالم في نظره أعز من المظلوم .

ذلك هو عمر في صميم ضميره . شجاع لأنه عادل لا يقبل الظلم ، وعادل لأنه شجاع يقدر على الظالمين . وقد تنفصل طبيعة الشجاعة وطبيعة العدل في نفس غيره . أما في نفسه الشريفة فلا تنفصلان

رحمه الله ونفع الناس بقدوته العالية ما ذكره الذاكرون .

عباس محمود العقاد

جعل الميثاق الإنكليزي دستوراً لهيئة الأمم . وهو يقضي بأن تلغى الإنتدابات وتبطل الحمايات وتنتهي الاحتلالات ويترك لكل أمة أمر مصيرها تقرره بنفسها كما تشاء ، وأن تكون حقوق الأمم كحقوق الإنسان ، والحرية والإخاء والتساوي في الشؤون السياسية . وإذا بنا نرى مجلس هذه الهيئة يخالف جميع نصوص الميثاق من غير تورع وليس عنده حرمة لدستوره أو لأي قانون دولي .

فيسمح لإنكلترا مثلا أن تبقى جيوشها في مصر والسودان والعراق وغيرها . ويقرر بأن تذبح فلسطين وتشطر شطرين يعطى أحد شطريها لشعب أفاق ملهم من ممالك مختلفة لكي ينشىء لنفسه دولة جديدة دينية في فلسطين ، في حين أن دساتير هذا العصر تعتبر الدين دولة أو مملكة .

لا لزوم لإيراد أمثلة أخرى لتمرد هذه الهيئة على دستورها وهو الميثاق الذي استندت إليه . فكأنها حكومة عالية . ولكن بلا دستور ولا قانون ولا وازع عن الاعتداء والطغيان . وهي مستندة لها في أحكامها إلا المطامع الأشعبية . فهل يمكن أن تقر حكومة أو دولة أو هيئة دولية على أساس التناهب والاعتداء والجشع ؟

ما فقدت هيئة الأمم هيبتها بسبب أنها لا تحرز قوة لتنفيذ أحكامها ، بل فقدت هيبتها لأنها فقدت ثقة العالم بها ، وإلا فها العالم ببوليس دولي ينفذ قراراتها العادلة . ولكن العالم يرى أنها لا تستند إلى القوانين القويمة في أحكامها وخشي أن تتورط في الظلم والعسف فتاب عن تأييدها . ولهذا يتحفز العالم لهدمها .

إن التاريخ منذ نشوئه إلى مئات القرون التي عبرها يذيع ويقرر جمهوري وبصراحة أنه ما من دولة أو مملكة صمدت جيلا بعد جيل أو بضعة أجيال على مخالفة القوانين القويمة ونقض النظم الصالحة كان الاستبداد والاعتساف ونقض القوانين أسباباً لتقوض أمرها وتداعي بنيانها وتضعضع كيانها .

إن هيئة الأمم هذه تترنح الآن متداعية للسقوط لذلك السبب نفسه وهو السبب الطبيعي لسقوط كل بناء اجتماعي وهيئة ودولة قامت بشري وحكم إنساني منذ نشأ الإنسان اجتماعياً إلى الآن .

فلتبك هذا النظام الاجتماعي العالمي (هيئة الأمم) الذي كنا ننشده ونتمنى أن يكون فتحاً جديداً للملك السلام على الأرض .

ما أسخف هذا الإنسان .

بل ما أسخف أساطين السياسة هؤلاء .

إذا كان رجل واحد يضحي بالعدالة وينادي بالسلام ويذبح الحق ذبحاً على مذبح أنانيته — إذا كان يفعل هذه وأكثر منها لكي يرقى إلى كرسي رئاسة الولايات المتحدة فهل تحسب هذا الرجل إنساناً صالحاً للحكم ؟ هل يصلح هذا الرجل أن يدير شؤون أمة مؤلفة من ١٣٥ مليون نسمة في الدرجة العليا من الرقي ؟ وبماذا تميز بين الرجل الذي يضحي بسلام العالم وأمن الأمم الصغيرة ومصالح شعبه الحيوية على مذبح شهوته وغرامه بالرئاسة — بماذا تميزه عن إبليس الرجيم ؟

لا يتورع عن أن يرصد ٣٠٠ بليون ريال لحرب قادمة قد تكون ماحقة ساحقة . لا يتورع بأن ينتصب من ملايين الأمة هذه الملايين لكي يجعلها وقيداً لملايين الشباب في حرب أصارها على الأبواب .

مهلا يا هذا إلى أن يتنفس العالم الصعداء بعد هلاك الملايين من الأرواح وضياع الملايين من الأموال . مهلا إلى أن يشبع الجائع ويدفأ العريان ويرتاح المتعب .

إن عصر الآلات الذي نحن فيه كفيل بأن يعيش الناس كلهم برغد في عمل أسبوع واحد من كل شهر وأن يرتاحوا أربعة أسابيع . ولكن هؤلاء الساسة الأشرار لا يتورعون أن يستغلوا الناس شهراً كاملا لكي ينفقوا نسمة أعشار نتاجه في التقتيل والتخريب .

من أين يأتي ترومان بثلاث مئة بليون لأجل الحرب ؟ أليس من مجهود قومه في العمل مدة ٣٠ يوماً في كل شهر .

ليست هذه الجريمة جريمة ترومان وحده ، بل هي جريمة كل سياسي من ساسة العالم الذين يلعبون بشؤون الأمم .

لقد نكب العالم بطبقة من الناس ليست على قدر كاف من العلم ولا على شيء من الحكمة ولا على ذرة من الضمير الصالح .

ألا رحمة الله على أفلاطون الذي توصل بحكمته (فلسفته) إلى معرفة أن الدولة لا تصلح لإدارة شؤون الأمة ولا تعيش